مستقبل العلاقات الدولية في الألفية الثالثة

شكر واجب

د. محمد رأفت محمود*

الدكتور بطرس بطرس غالى بعيداً عن مناصبه الرفيعة التى تبوأها – آخرها أمين عام المنظمة الفرانكفونية – هو قيمة عليا ورمز بليغ لرجل مصرى حمل على كتفيه حكمة أمته وحضارتها ، حتى وهو على قمة المسئولية الدولية فى الأمم المتحدة ، فأعطى لوطنه كما أعطى للإنسانية . وحاول واجتهد ليجعل من المنظمة الدولية منبراً ديمقراطياً يتسع للجميع على قدم المساواة ، ودفع صابراً ثمن تمسكه بالمبادئ السامية

*رئيس جامعة أسيوط

التى قامت عليها الأمم المتحدة . وقد زكته مواقفه وتاريخه لكى يتبوأ موقعاً دولياً جديداً فى منظمة الفرانكفونية عرفاناً من المجتمع الدولى لدوره فى خدمة الإنسانية ، ونضاله المستمر من أجل إيجاد دور لائق بالقارة الأفريقية ، التى اقترب من همومها ومشكلاتها وعمل طويلاً من قبل فى خدمة سكانها ، وفض المنازعات والصراعات بين دولها وشعوبها وكرس حياته لتحقيق الأمن والسلام والاستقرار فى ربوعها.

وسوف تظل جامعة أسيوط تذكر له بالخير قبوله لدعوة مركز دراسات المستقبل لزيارة الجامعة والحديث إلى أبنائها والدخول معهم فى حوار مفتوح حول "مستقبل العلاقات الدولية فى الألفية الثالثة" . وهو حديث نشكر لمركز دراسات المستقبل أن قام بتسجيله وتوثيقه فى هذه المطبوعة لتبقى محفوظة فى الذاكرة التاريخية يرجع إليها المهتمون بمستقبل

العلاقـــات الدولـــية والمتابعون لتغير القوى فى النظام الدولـــى والباحثون عن اليقين فيما طرأ وسوف يطرأ علـــى خـــريطة العلاقـــات الدولـــية ، وفى الدور الذى ينـــتظرنا والـــتحديات التى يمكن أن تواجهنا والفرص التى تلوح من حولنا.

إنـــنا نجـــدد للدكـــتور غالى – بمناسبة صدور هذه المطـــبوعة الـــتى تحمل محاضرته – شكرنا وتقديرنا ونســـأل الله أن يـــرزقه العفو والعافية وأن يمد له فى أجله ليواصل عطاءه المتدفق كالنهر.

والله الموفق..

تقديم

د. محمد إبراهيم منصور*

الدكتور بطرس بطرس غالى نموذج وطنى مرموق، تتفق معه أو تختلف لكن يظل احترامك له – فى الحالين – لا يتغير . وهو صفحة من التاريخ المصرى نتفق مع ما جاء فيها أو نختلف لكننا لا نملك إزاءها غير التوقير . لم نكن نعرف قبل أن نقترب منه ونتعرف عليه ونتحدث إليه إلا ما كتب هو عن نفسه وما كتبه عنه الآخرون أو تناقلوه عن سيرته سواء

*مدير مركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط

وهـو يـتدرج فـى هياكل المسئولية الوطنية ، أستاذاً جامعـياً وصحافياً، ووزيراً ودبلوماسياً لامعاً ، أو وهو علـى قمـة النظام الدولى أميناً عاماً للأمم المتحدة ثم أميـناً عامـاً للفرانكفونـية فى بازغ عهدها ، ولكننا بالاقتراب منه وجدنا فيه شخصية المصرى ، البسيط ، النبيل ، الذى صاغه التاريخ من ماء النيل وطينه، ومن وفاء شعبه وصلابة صخوره . شخصية عظيمة الثراء بمـا تخـتزنه فى ضميرها من حكمة التاريخ وعراقة الموروث الحضارى المصرى.

وقد قبل الدكتور بطرس غالى دعوتنا – التى زكاها مشـكوراً رئـيس المجلس المصرى للشئون الخارجية السـفير المـرموق الدكـتور محمـد إبراهيم شاكر – ليحاضـر عـن " مستقبل العلاقات الدولية فى الألفية الثالثة " ويفتح حواراً مع شباب الجامعة وأساتذتها عن النظام الدولى ، الذى كان إصلاحه ساحة اجتهاد غامر الدكـتور غالى بخوضها، وفرساً راهن على ركوبه فى

مضـــمار تغـــيرت فيه " قواعد اللعبة ". ففى السنوات القليلة التى قضاها الدكتور غالى فى "بيت من زجاج" – وهــو الوصف الذى أطلقه على الأمم المتحدة – لم يتردد فى الدعوة إلى ديمقراطية العلاقات الدولية التى مالـــت فيها الموازين ميلاً كبيراً ، وفى المطالبة بكسر احـــتكار ســـلطة القرار الدولى ، والشروع فى إصلاح هياكل الأمم المتحدة ومقاومة الهيمنة المنفردة عليها، وفتحـــت اجـــتهادته – الـــتى جنت عليه – باباً واسعاً للجهر بالدعوة لإيجاد جيل ثالث من المنظمات الدولية يضم حركات المجتمع المدنى غير الحكومية التى اشتد ساعدها وقويت شوكتها فى السنوات الأخيرة ، وارتفع صوتها فى سياتل ودافوس وديربان وبرتو اليجيرى ، تعـــارض العولمـــة ومـــنظمة التجارة العالمية وتطالب بتجارة عادلة للدول الأشد فقراً ، وتسوية عادلة لديون الـــدول الأفريقية الفقيرة ، وبناء نظام اقتصادى عالمى

لا يحتكر الأغنياء منافعه ، وتناهض العنصرية وانتهاك حقوق الإنسان.

وبفضل اجتهادات الدكتور غالى ، وما نزل به من ضيم، ارتفعت ومازالت ترتفع أصوات عديدة تطالب بضرورة وضع قيود على حق الفيتو وتوسيع العضوية الدائمة والمؤقتة فى مجلس الأمن ، وتنشيط دور الجمعية العامة واستعادة صلاحيتها ، واسترداد الحياة والفعالية إلى نظام الأمم المتحدة . ورغم أن محاضرة الدكتور غالى كانت قبل شهور قليلة من أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الإرهابية على واشنطن ونيويورك إلا أن هذه الأحداث جددت الحديث مرة أخرى إلى دعوة الدكتور غالى عن أهمية العدالة فى النظام الدولى وتصحيح نظام الأمم المتحدة وتوسيع سلطة القرار الدولى ومقاومة الهيمنة والانفراد بالحكم فى القضايا الدولية.

أنـــنا نجـــدد شكرنا للدكتور غالى ولرئيس المجلس المصرى للشئون الخارجية الدكتور محمد إبراهيم شاكر ونهـــدى هذه المحاضرة - الوثيقة إلى الأجيال الجديدة من شبابنا المتطلعين إلى نظام عالمى عادل تختفى فيه المعايير المزدوجة والسياسات الانتقائية .

والله من وراء القصد .. وهو يهدى إلى سواء السبيل

مستقبل العلاقات الدولية في الألفية الثالثة

د. بطرس بطرس غالى

أمين عام منظمة الفرانكفونية

أولاً، أريد أن أقدم جزيل الشكر لمركز دراسات المستقبل ، وللقيادات الجامعية بجامعة أسيوط ، التي وجهت إليّ هذه الدعوة الكريمة التي أتاحت لي فرصة الحوار مع الجيل الجديد، الذي أؤمن بدوره ، سواء فيما يتعلق بالعلاقات الدولية أو فيما يتعلق بالشئون الوطنية.

لقد انتهت الحرب الباردة في نهاية القرن الماضي بانتصار العملاق الأمريكي على العملاق السوفيتي. وعادةً بعد الحروب الكبرى تنعقد مؤتمرات يُتفق فيها على تنظيم العلاقات الدولية. فبعد حروب نابليون في

أوروبــا انعقــد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ . وبعد نهاية الحــرب العالمــية الأولى انعقد مؤتمر فرساي بفرنسا الــذي أدى إلى قيام عصبة الأمم. وبعد الحرب العالمية الثانــية انعقــد مؤتمر سان فرانسيسكو بأمريكا والذي أدى إلــى قــيام الأمم المتحدة. أما بعد انتهاء الحرب الــباردة فلم تنعقد أي مؤتمرات لوضع أسس للعلاقات الدولــية بعــد الحرب الباردة. لماذا؟ في الواقع هناك تفســيران لذلــك. الأول: أن العمــلاق الأمريكى وهو المنتصــر الوحيد في هذه الحرب الباردة ، قد رأى أنه يستطيع أن يتولى بمفرده إدارة العلاقات الدولية. ومن ثــم فلسنا بحاجة لمؤتمر دولي لوضع أسس للعلاقات الدولــية فــيما بعد الحرب الباردة. والسبب الثانى: أن العمــلاق الأمريكــي كــان مقتنعاً أنه من خلال تطبيق الــنظام الديمقراطي داخل الدول ، ومن خلال الاقتصاد الحــر يستطيع أن يحكم المجتمع الدولي ويحكم العالم. لقد كانت النظرية السائدة في ذلك الوقت ، وحتى وقت

قريـــب أن النظام الديمقراطي لا يصلح إلا للدول الغنية التي وصلت إلى درجة عالية من الرقى ، لكنه لا يصلح للدول النامية ولا للدول الفقيرة، لاسيما أن الديمقراطية تتطلب حداً أدنى من المستوى الحضاري والثقافي. وقد تبين بعد الحرب الباردة وفى ظل العولمة الجديدة ، أن هناك علاقة وثيقة بين التنمية والديمقراطية ، ولابد من ربـــط الديمقراطية مع التنمية إذا أردنا أن نتقدم ونلعب دوراً في المجتمع الدولى. وقد شجعت الولايات المتحدة هـــذه الفكـــرة، وهى فكرة ربط الديمقراطية بالاقتصاد الحـــر. يضاف إلى ذلك ظاهرة جديدة وهى انه قد لازم الاقتصـــاد الحـــر ثورة هائلة فى تكنولوجيا الاتصالات والأبحـــاث والمنشآت عن طريق الإنترنت ، حيث حلت الصـــورة محل الكتاب. وهذه ظاهرة جديدة وخطيرة . ولاشـــك أن الـــتلازم بيـــن الاقتصـــاد الحـــر والثورة التكنولوجية أدى إلى عولمة الاقتصاد وعولمة عدد من

المشـــاكل . وقد أشرت أكثر من مرة إلى خطورة هذه الثورة التكنولوجية الجديدة.

وهناك رأى يذهب إلى أن تلك الثورة التكنولوجية قد تســاعد علــى التقليل من الهوة والفرق الشاسع بين الشــمال والجــنوب. وهناك آراء أخرى ترى العكس ، بمعــنى أن تلــك الثورة التكنولوجية ستزيد من الفرق والهوة بين الشمال والجنوب لكن لماذا؟ لأن كثيراً من بــلاد العالم الثالث لا توجد لديها كهرباء ، ومن ثم لا تستطيع أن تستفيد من الوسائل التكنولوجية الحديثة ، إلا بــالقدرة على القراءة والكتابة. ونجد أن ٥٠% من شــعوب العــالم الثالث لا يجيد القراءة والكتابة، ولكن الخطورة أن الثورة التكنولوجية تؤدى إلى حائط جديد أكثر خطورة وأعلى ارتفاعاً من حائط برلين الذي عزل برلين الشرقية عن برلين الغربية، وكان انقسام المدينة رمــزاً لانقســام العــالم بين معسكرين ، كما أدى إلى انقســام أوروبــا ، الأمــر الــذي يجعــل هذه الثورة

التكنولوجـية تخلـق انقسـاماً جديداً أشد وأقوى من الانقسام الموجود حالياً بين الشمال الذى سيزداد تقدماً، والذي سيلجأ إلى العديد من الوسائل في ميادين مختلفة وبين الجنوب الذي يزداد فقراً وتخلفاً.

**السـؤال هـنا من هو الذي سيتولى الإشراف على العلاقـات الدولـية فيما بعد الحرب الباردة؟ من الذي سيتولى الإشراف على تلك الثورة الجديدة؟

كيف نستطيع تنظيم العلاقات الدولية في ظل:

١- فترة ما بعد الحرب العالمية الباردة

٢- وجـود ثورة تكنولوجية جديدة وهائلة لا يوجد لها سابقة في المجتمع الدولي؟!

هـل سيتولى الإشراف على العلاقات الدولية في ظل هـذا الوضع العملاق الأمريكي؟ أم سيتم هذا الإشراف في ظل نوع من التعددية أي مجموعة من الدول ، أي

تحقـــيق حد أدنى من ديمقراطية العلاقات الدولية؟ هذه هي القضية الأساسية.

عندما توليت منصب الأمين العام للأمم المتحدة وفى ٣١ يــناير عـــام ١٩٩٢ أي شـــهر بعـــد ولايتى لهذا المنصـــب انعقـــد مجلس الأمن ، ولأول مرة في تاريخ الأمـــم المتحدة ، على مستوى رؤساء الدول ورؤساء الحكومات، وطلبوا من الأمين العام أن يقدم ورقة عمل لوضع تصور للعلاقات الدولية في إطار الأمم المتحدة ، وفـــى ظل مبادئ وأهداف الأمم المتحدة. وقد وضعت ورقة عمل سميت "أجندة السلام". هنا تبين منذ البداية الخـــلاف الكبـــير بيـــن الدول التي تؤمن بحد أدنى من الديمقراطية في العلاقات الدولية ، أي الدول التي تؤمن بالـــتعددية . وبمـــا أنـــنا نتحدث عن التعددية الحزبية نســـتطيع أن نـــتحدث عـــن التعددية الدولية. وكما أن الـــتعددية الحزبـــية تمـــثل حـــداً أدنى من الديمقراطية الوطنـــية، فالـــتعددية الدولـــية تمـــثل حـــداً أدنى من

الديمقراطية الدولية . هذا التيار وهو تيار أنصار الأمم المتحدة نجد في مقابله تياراً آخر يرى أنه لابد من سيطرة العملاق الأمريكي الأوحد ، ولابد من إيجاد ما يسمى "إمبريالية جديدة" للسيطرة على العلاقات الدولية. فكان هناك خلاف بين أنصار الهيمنة من ناحية وأنصار الديمقراطية من ناحية أخرى. خلاف بين التعددية من ناحية وحكم العملاق الأمريكي الأوحد من ناحية أخرى . والفكرة كما قلت كانت قائمة قبل ذلك . فالفكرة كما ظهرت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وهى أن التحالف الذي أدى إلى انتصار الحلفاء سيستمر بعد انتهاء الحرب ولكن الحرب الباردة أدت إلى انشقاق وأدت إلى تجمد الأمم المتحدة ، فلم تستطع الأمم المتحدة أن تحقق أي هدف من الأهداف باستثناء دورها الهام وهو تصفية الاستعمار، فعلى سبيل المثال نجد أن القارة الأفريقية في عام ١٩٤٥ كانت ممثلة أثناء مؤتمر سان فرانسيسكو بثلاث دول فقط وهى

مصـــر وليبـــيريا وأثيوبيا . أما اليوم فهناك ٥٥ دولة أفريقـــية أي أن كافـــة الدول الأفريقية ممثلة في الأمم المـــتحدة. وعـــند قـــيام جامعة الدول العربية في عام ١٩٤٧ كان هناك سبع دول. أما الآن فهناك ٢١ دولة ممـــثلة فيها. وباستثناء تصفية الاستعمار وإقامة حوار بيـــن القطبين الشهيرين ، العملاق الأمريكي والعملاق الســـوفيتي لـــم تقـــم الأمـــم المتحدة بتحقيق الهدف المنشود وهو فكرة التعددية ، وبالتالي نجد أننا قد عدنا للفكـــرة الأساسية وهى سيطرة دولة واحدة. إذن هذه صـــورة نستطيع أن ننتقل من خلالها إلى وضع رؤية مستقبلية للألفية الثالثة وهو موضوع الندوة التي طلب منى مركز دراسات المستقبل أن أحاضر فيها.

بداية لابد من الإشارة إلى أن الباحثين في الدراسات المســـتقبلية للعلاقـــات الدولـــية لـــم يشيروا إلى أزمة البـــترول، ولـــم يفكـــروا فـــي الـــثورة التكنولوجية. فالدراســـات المســـتقبلية خطـــيرة للغاية وقد لا تحقق

الغــرض المنشــود منها ، ولكن أستطيع أن أقول أن الألفــية الثالــثة أو علـــى الأقل القرن الحالي سيشهد اســتمراراً للســيطرة الأمريكية. وترجع تلك السيطرة ليس فقط إلى القوى العسكرية والتقدم التكنولوجى ولا الــتقدم الفنـــي ، بل إلى انفتاح الولايات المتحدة على المجــتمع الدولي . بمعنى آخر أي مهاجر يستطيع أن يصل في أمريكا إلى أرقى المناصب.

كسينجر وزير خارجية أمريكا ولد في ألمانيا ووصل إلـــى منصـــب وزير خارجية الولايات المتحدة. مادلين أولبرايت ولدت في تشيكوسلوفاكيا ووصلت إلى منصب وزيـــرة خارجـــية أيضاً. فكافة الخبرات وكافة القدرات مـــتوفرة فـــي الولايات المتحدة ومندمجة في المجتمع الأمريكـــي ، وهذه ظاهرة ليست موجودة في أوروبا ، كمـــا أنهـــا ليست في آسيا وكذلك المجتمع العربي . فهذه القدرة تعطى للولايات المتحدة فرصة للتقدم على غيرها من بلدان العالم. وقد ذكرت للزملاء صباح اليوم

فى مركز دراسات المستقبل أنني ذهبت في زيارة لكندا لأداء مهمة وطُلب منى مقابلة الحاكم العام وهو بمثابة رئــيس الدولة . وقيل لي أن الحاكم العام ولدت بهونج كونـج وتجنست بالجنسية الكندية وهى بالفعل سيدة ذات ملامــح صــينية . لماذا لأن هناك جالية صينية كبيرة بكــندا خرجت من هونـج كونـج وتايوان، ولـها رؤوس أمــوال ضخمة ، والحكومة رأت أن تأخذ في اعتبارها وجود هذه الجالية الصينية وعينت صينياً حاكماً عاماً . وهذا لا يمكن أن يتم في إنجلترا أو فرنسا أو مصر أو أي دولـــة من دول العالم الثالث ، ولكن يتم في أمريكا بـــالذات، فهـــذه القـــدرة على الانفتاح تعطى الولايات المـــتحدة فرصة للتقدم على الدول الأخرى. يقابل هذا التقدم ضعف الدول الأخرى . فالدول الأوربية ما زالت منقســـمة والوحـــدة الأوربـــية لـــم تكتمل بعد، الاتحاد السوفيتي إنهار ، وأكثر من ذلك ، دولة كالصين ليس لديهـــا الرغبة أو الإرادة السياسية لأن تلعب دوراً في

السياسة الدولية في الوقت الحاضر. فهي ذات حضارة عمـــرها خمســـة آلاف عـــام ، وعاشت هذه الحضارة واللغـــة مـــنذ خمسة آلاف عام، ومع ذلك فالصين في تطـــور وفـــى نمو. ففي شنغهاى توجد أربعون ناطحة سحاب بينما في نيويورك لا توجد سوى اثنتين أو ثلاث فقـــط . وقـــد حضـــرت العديد من اللقاءات في مراكز الأبحاث الصينية فوجدت مستوى يكاد يفوق ما وجدته من مستوى في مراكز الأبحاث الأمريكية أو الإنجليزية أو الفرنسية . فلاشك أن الصين هي الدولة القادمة أو العمـــلاق القادم ، ولكن ليست لديها الرغبة في الوقت الحاضر لتلعب دوراً في السياسة الخارجية.

وهناك مثل آخر، دولة ألمانيا أرادت أن تتغلب على انقســـام ألمانـــيا وبالتالي قررت بأن لا تهتم في الوقت الحاضـــر بالسياسة الخارجية . وكذلك الوضع بالنسبة للـــيابان إذن السيطرة الأمريكية على العلاقات الدولية ترجع إلى سببين:

الأول: يرجع إلى القوة الأمريكية في كافة الميادين

والثاني: أن الدول الأخرى القوية ليست لديها الإرادة السياسية لأن تلعب دوراً في العلاقات الدولية حالياً.

فيوغوسلافيا كانت لديها الإرادة السياسية ولعبت دوراً هاماً في السياسة الدولية خلال العشرين عاماً فيما بين انعقاد مؤتمر عدم الانحياز عام ١٩٦١ وبين وفاة الجنرال جوزيف بروز تيتو عام ١٩٨١ . أما الآن فهي مفككة إلى خمس دول في الوقت الذي كانت فيه خلال العشرين عاماً المشار إليها تلعب دوراً قيادياً في المحافل الدولية، وكانت تستطيع أن تلعب دوراً في أفريقيا أو أي دولة.

دولة مثل كوبا كان لديها في وقت من الأوقات خمسة آلاف طبيب في أفريقيا ، وكانت لديها قوات عسكرية تصل إلى ٣٠ ألف عسكري في أنجولا. إذن الإرادة السياسية لأي دولة هي التي تؤهلها لأن تلعب

دوراً فــي السياســة الخارجية . وهذا عنصر أساسي للعلاقات الدولية.

ومــع ذلك ففي الوقت الحاضر نجد أن أغلبية الدول ليســت لديهــا هذه الإرادة . وكأن السيطرة الأمريكية تكونت من قدرتها وقوتها من ناحية ، وفى نفس الوقت مــن عدم رغبة الدول الأخرى في أن تلعب هذا الدور في مجال العلاقات الدولية.

هنا يجب أن نقول أن هناك رفضاً وانتقادات للهيمنة الأمريكــية . وتلــك الانتقادات تأتى حتى من القيادات الفكــرية الأمريكــية نفســها . وبينما تخشى القيادات الفكــرية الأوربية أن تنتقد فكرة السيطرة الأمريكية ، فإن القيادات الفكرية الأمريكية لها القدرة على الانتقاد ســواء بريزنســكى الذي كان مستشاراً للرئيس كارتر للشئون الدولية ، أو صموئيل هنتجتون فكلهم ينتقدون ويقولــون أن الولايــات المــتحدة هــي القوة الأولى

وستنتقل إلى القوة الوحيدة The only Power أي أنها الدولة الوحيدة The lonely Power ، وستكون الدولة اليتيمة فلن يكون لها أصدقاء في المجتمع الدولي . فكان هناك تيار أمريكي داخلي ينتقد السيطرة الأمريكية ويرى أنه من مصلحة أمريكا أن تتعاون مع الدول الأخرى ، وأن تقبل التعددية وتقبل حداً أدنى من الديمقراطية الدولية في اتخاذ قرارات السياسة الدولية. ولكن حتى الآن لم تأخذ الولايات المتحدة بهذه النصائح. ورغم التيارات المعارضة فإنها تتصرف بمفردها ، فقد كان تصرفها على سبيل المثال في ضرب مدينة بغداد بالطائرات تصرفاً فردياً مطلقاً دون أي أساس قانوني فلا يوجد نص في الأمم المتحدة يبيح لها هذا.

إذن السؤال هو وأمام هذا الوضع ما هو المطلوب؟

الملاحظ أننا تكلمنا عن الظروف السياسية فيما بعد الحــرب الــباردة . وتكلمنا عن الثورة التكنولوجية ، يجــب أن نــتكلم عــن ظاهــرة أخرى وهى العولمة. اختصاصات الدولة تنتقل من الدولة إلى سلطة جديدة ؛ قــد تكــون الأمم المتحدة أو البنك الدولي أو مافيا أو مجموعــة من تجار المخدرات يكونون منظمة دولية – تبيــن أن المشاكل الدولية في الوقت الحاضر لا يمكن معالجــتها علــى المستوى القومي، أو على المستوى الوطنــي. وعلى سبيل المثال قضايا البيئة لا يمكن أن تعــالج على مستوى قومي، فمثلاً :حادثة" تشيرنوبيل " كان لها تأثير على البحر المتوسط وعلى مناطق واسعة قريــبة مــن روسيا . ومن الناحية الاقتصادية نجد أن الســوق وقوانيــن العــرض والطلــب تفــرض على اقتصــاديات العــالم. وهــناك أيضــاً مشاكل الطيران والإذاعــة والمشــاكل المــتعلقة بــتوزيع موجــات

التلفزيونات كلها تتم خارج نطاق الدولة ، تتم من خلال تنظيمات مختلفة ، وهنا نجد التناقض بين من ينادى بتوافر الديمقراطية القومية بينما هذه الديمقراطية لا تتوافر على المستوى الدولي.

على المستوى العالمي النظام غير ديمقراطي، فقد تكون الشركات متعددة الجنسيات هي التي تتولى الإشراف على بعض القضايا الاقتصادية . وقد تكون دولة واحدة وهى الولايات المتحدة الأمريكية هي المسيطرة على بعض القضايا الاقتصادية أو الدولية، وقد يكون تحالف بين دولتين أو مجموعة دول ، وبالتالي نستطيع أن نقول أن الديمقراطية لا توجد على المستوى الدولي. فهناك تناقض نحن ننادى بضرورة استتباب الديمقراطية على المستوى الوطني ، وفى نفس الوقت لا توجد ديمقراطية على المستوى العالمي. كيف نحاول أن نعالج هذا؟ إن معالجة هذا تتم إما عن طريق تدعيم الأمم المتحدة ، أو بإنشاء منظمات دولية

جديدة تتولى الإشراف على الجوانب المتعددة للعولمة، ويسبق هذا مطلبان لابد من ذكرهما الأول، هو ضرورة اهتمام الدول بالسياسة الدولية- وهذا نداء للشباب فى الوقت نفسه – فقد جرت العادة أن يهتم الرأي العام بالسياسة الداخلية ، لكنه لا يهتم كثيراً بالسياسة الخارجية. كما تهتم الصحف بالشئون الداخلية ولا تعير الشئون الخارجية اهتماماً كبيراً. فالمطلوب توافر ثقافة معينة. فاهتمامنا بالأمور الدولية سيساعدنا على أن نلعب دوراً في تنظيم العلاقات الدولية. إن القوانين الجديدة ستكون مفروضة من قبل دولة واحدة أو منظمة دولية أو من قبل مجموعة من رجال الأعمال. فلابد أن نهتم بالسياسة الدولية ولابد من اهتمام الرأي العام بالسياسة الدولية وإذا اهتم الإعلام فستهتم الحكومات والدول بالسياسة الدولية.

والمطلب الثاني؛ هو أنه لابد من إدخال الديمقراطية في الأمم المتحدة وتقليل استعمال حق الفيتو، وتوسيع

مجلس الأمن ليضم دولاً أخرى وإعادة النظر في الجمعية العامة للأمم المتحدة، والسماح للأهالي والجمعيات غير الحكومية وممثلى المدن والبرلمانات بالاشتراك في إدارة العلاقات الدولية، والسماح حتى لرجال الأعمال والخبراء لكي يشتركوا . بمعنى آخر لابد أن يتوفر حد أدنى للديمقراطية في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وأن تضمن الديمقراطية لأي منظمة أخرى تتولى في المستقبل الإشراف على العلاقات الدولية.

يجب أن يفتح الباب على مصراعيه لغير الحكوميين والجمعيات الأهلية لكي تشترك في السياسة الدولية - هذا على المستوى السياسي - إذا أردنا أن نضمن حداً أدنى من ديمقراطية العلاقات الدولية في القرن القادم.

ولـــو انتقلـــنا للمســـتوى الاجتماعـــي ، فهناك عدة تصورات حول وضع هذا المستوى في الألفية الثالثة . فهـــناك كـــتاب قمـــت بنشره في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩ أي قـــبل سقوطه وانتهاء عصر الحرب الباردة ورأيـــت أن المجـــتمع الدولـــي فـــي السنوات القادمة سينقسم إلى ثلاث فئات:

١- ســـكان الدول الغنية أي التي تقع في الشمال وهنا لن يكون هناك فرق بين من يسكنون العواصم ومن يسكنون الأرياف.

٢- عواصم الدول النامية، حيث هناك اهتمام بالعواصم على حساب الريف أو على حساب المدن الأخرى.

٣- أرياف المدن النامية .

وهـــذا التقســـيم سيستمر لأن القيادات الفكرية التي تنتمـــي إلـــى الفئة الثانية ستنجح في أن تذهب للدول الغنية والقيادات الموجودة في الأرياف ستحاول وتنجح

في الانتقال للعواصم، وبالتالي هذا الانتقال سيؤدى إلى جمـود بيـن تلك الفئات الثلاث من سكان الدول الغنية حيـث لا فـرق بين المدينة والريف - عواصم الدول النامية - أرياف الدول النامية . وقد قيل هذا الكلام قبل عشـرين عاماً . وبعد الثورة التكنولوجية أصبح غير دقـيق فهـناك مناقشة دارت في اليونسكو في باريس العام الماضي حيث وضع مفكر صورة أخرى فهو يرى تقسـيم العـالم إلى ثلاث فئات: الأولى، هي الفئة التي تنتمي للشرائح التي تستطيع أن تنتقل إلى مختلف دول العالم وهى الفئة المحظوظة أو الطبقة الراقية الجديدة، على سبيل المثال في نيويورك هناك أربعة فنادق كبرى مديـروها مصـريون . إذن فإن مديري الفنادق وكبار الأساتذة، ورجال الأعمال، والأطباء في هذه المجموعة.

وبسبب استعمال التكنولوجيا فإن هذه الفئة هي التي تسـتطيع أن تنـتقل من بلد إلى بلد كجزء من عرض العمل العالمي.

والفئة الثانية هي ما يسمى "بالرحالة الكادحة" وهم أكثر من مليار شخص يحاولون العمل بالدول الأخرى. ففي المكسيك هناك أكثر من ٦ مليون مكسيكي يعملون بالولايات المتحدة، وفى أوروبا هناك الملايين من العمال من جنوب أفريقيا والقارة الأفريقية وتركيا والمغرب العربى يحاولون العمل في هذه البلاد . فهذه هي الطبقة الفقيرة في رأى هذا الكاتب والطبقة الوسطى هي التي تتمتع بالإنترنت والتليفزيون وطموحها أن تنتقل للطبقة الراقية ، ومخاوفها تتلخص في أن تفقد القدرة على العمل وتنتقل للطبقة الفقيرة ، وهذه جميعها تصورات للمجتمع الدولي في القرن القادم ، وكل ذلك مجرد مجهودات قد تكون بعيدة عن الواقع ، وقد تظهر اختراعات جديدة تساعد على التغلب على الهوة بين الشمال والجنوب، وقد تظهر اختراعات جديدة تقضى على التعددية اللغوية بسبب آلات الترجمة الفورية . فهناك اختراعات جديدة حتى

علـــى جســـم الإنسان قد تؤدى إلى تغييرات جذرية في المجتمع الدولي ، والمطلوب أن نستعد لهذه التغييرات الجذريـــة . ولكي نستعد لها يجب أن نهتم بالدراسات المستقبلية أكثر من اهتمامنا بالماضي . فقد كان الحاكم أو القاضـــي عـــند حكمه في قضية ينظر إلى السوابق وماذا فعلنا منذ خمسين عاماً ، ويطبق الأحكام السابقة علـــى القضـــية الجديـــدة المعروضة أمامه، أما اليوم فالصـــورة أصبحت عكسية فلو أردت مثلاً بناء كوبرى أنظـــر إلى مدى كفاءة وقدرة هذا الكوبرى بعد خمسين عاماً من بنائه فيجب أن أفكر في كيفية استعمال الشيء بعد عشرين أو خمسين عاماً .

فـــالمطلوب فـــي النهاية أن يتجه التفكير دائماً إلى المســـتقبل ونتجنـــب الـــنظر للسوابق لأن السوابق لا تصلح في ظل تلك الثورة التكنولوجية الهائلة.

ننتقل الآن إلى الشق الثاني من الحديث وأطلب منكم أسـئلة غـير دبلوماسـية وأعدكـم أيضاً بردود غير دبلوماسية.

*** سؤال (من أحد طلاب الجامعة)***

هـل الأمم المتحدة حقيقة كما يقال جندي في شرطة القـوة الوحـيدة للعـالم الجديد وهى الولايات المتحدة الأمريكـية؟ وهل هي مجرد آلية لفرض العقوبات على الـدول والنظم الحاكمة التي تعارض أو تفكر في مجرد معارضـة آراء وسياسات الولايات المتحدة الأمريكية؟ ثم ألم يتبين للعالم الجديد أن هذه العقوبات التي تقصد بهـا نظم الحكم لم تعد تؤثر على قيادات هذه الشعوب وأن الـذي يدفـع فـاتورة هذه العقوبات هو المواطن البسـيط والقادة والحكام باقون في قصورهم المنيعة؟ وإذا كانت هذه العقوبات تُفرض تحت مسمى الشرعية

الدولــية فأيــن الــتزام بعض الدول وخاصة إسرائيل بقرارات الأمم المتحدة التالية ٢٤٢،٣٣٨،١٩٤ ؟

دكتور بطرس غالى:

الــرد بسيط مع الأسف فالقوة هي التي تتغلب على القانون وعلى العدل . فالرد أن العقوبات تتحملها فقط الشــعوب الكادحــة أكثر من الطبقة الحاكمة . وهناك ملاحظــة إضافية لم تذكرها فالدول التي يطلب منها أن تفــرض هــذه العقوبــات هي التي تتحمل أعباءها . فالعقوبــات التــي فرضــت على العراق سببت خسائر كــبرى لتركــيا ، وكذلــك العقوبات التي فرضت على يوغوســلافيا رتبــت خســائر علــى رومانيا وبلغاريا والمجــر، والعقوبــات التي فرضت على هاييتى رتبت خســائر علــى مجموعة من الدول . إذن العقوبات لا تعتــبر عقوبــات على الشعوب فقط ولكن على الدول المجــاورة التــي يطلب منها فرض العقوبات . وهناك

مـــادة فــــي ميثاق الأمم المتحدة وهى المادة ٥٠ تنص علــــى أن الدول التي يطلب منها فرض العقوبات يحق لهـــا أن تطلب المساعدة من مجلس الأمن لكي يتحمل المجلس مسؤولياته.

*** سؤال حول الوضع فى العراق :***

هل هناك مرجع قانونى دولى يتم الرجوع إليه لتغيير وضـــع مناطق الحظر على العراق وإلى متى سيستمر ذلك؟

د. بطرس غالى:

فى الواقع هناك العشرات من القرارات التى صدرت مـــن مجلـــس الأمن فيما يتعلق بالعراق. وبالتالى من السهل أن يوجد قانون يستخلص من عشرات القرارات ويســـمح لها أن تستعمل القوة ضد العراق ، وبالتالى نجد أن الولايات المتحدة تدعى أنه عندما تستعمل القوة

ضد العراق فأن هناك أمراً قانونياً تستند عليه من مجلس الأمن ومن رأيى أن التصرفات الأمريكية غير قانونية . ولكن السؤال لماذا لم تتكلم الدول الأخرى. هناك ١٤ دولة أخرى فى مجلس الأمن وهناك ١٨٠ دولة عضو فى الجمعية العامة لماذا لم يصدر قرار يطالب بوقف هذا الضرب . ويجب أن نقول أن المسئولية الكلية ليست على أمريكا فقط ولكن أيضاً على المجتمع الدولى حيث يجب أن يشارك فى هذه المسئولية.

ويجب على المجتمع الدولى على الأقل أن يتكلم أو ينتقد هذه التصرفات. فالصمت يعتبر موقفاً سلبياً من المجتمع الدولى وليس من العرب فقط. هناك دول أوروبية أخرى وهى دول قوية لها رأى وقوة ، لماذا لا تتكلم . وهناك عدد من الدول مثل الهند والصين وباكستان لديها أسلحة نووية والمسئولية هنا على

المجـتمع الدولـــى فهـــو ســلبى وذلك يغرى العملاق الأمريكى باستخدام القوة وانتهاك القانون.

** سؤال حول حق الفيتو:*

مـــا هو تعليق سيادتك على أنه طالما أن هناك حق الفيتو فليس هناك ديمقراطية فى العلاقات الدولية.

د. بطرس غالى :

لا أستطيع أن ألغى حق الفيتو لأن الدول الكبرى هى التى تتحمل أعباء تنفيذ القرارات . إذن لابد من موافقة هذه الدول على هذه العمليات.

الفيـــتو هــام بالنســبة لبعض القرارات التى تتطلب تنفــيذاً ونفقات إضافية ، ولكن هناك قرارات أخرى لا داعـــى لاستعمال الفيتو مثل انتخاب الأمين العام للأمم المتحدة.

** سؤال حول معاقبة المسئولين فى إسرائيل:*

لمــاذا لا تــتم معاقــبة المسئولين فى إسرائيل عن الممارســات العدوانية ضد الشعب الفلسطينى؟ وما هو مســتقبل جهــود الرئــيس محمــد حسنى مبارك فى محــاولات توحيد الدول العربية لمواجهة القضايا التى تواجــه الأمــة العربية وخصوصاً القضية الفلسطينية؟ وهــل ســينجح العــرب فى مواجهة العدو الصهيونى والاعتراف بدولة فلسطينية وعاصمتها القدس؟

نــريد من سيادتكم أن نعرف إذا كانت رئاسة بوش ســتنجح فــى حــل مشكلة فلسطين أم لا ؟ وإلى متى ســنظل نــرى أطفــال فلســطين وهم يقتلون بدبابات الإسرائيليين ونحن لا نرى من يوقف هذه المذبحة ولا نستطيع أن نفعل شيئاً لهم مع أنهم عرب ؟

مــا هــو تصــور سيادتكم لمستقبل الصراع العربى الإسرائيلى وهل يمكن أن يحقق السلام الشامل والعادل

فـــى المـــنطقة وأن تكون إسرائيل لـها علاقة جيدة مع جيرانـها.

د. بطرس غالـى :

أقول أنـه من خلال المفاوضات يمكن أن نتخذ ونـحدد خطوة أولـى نـحو السلام . لا نستطيع أن نـحقق سلاماً كاملاً لأن هنـاك كراهية عميقة بين العرب والإسرائيليين. وللتغلب على هذه الكراهية قد نـحتاج إلى جيل أو جيلين . وعلى سبيل المثال كانت هنـاك حرب دامية بين فرنسا وألمانيا . وكان هنـاك ٨ مليون أسير ألمانـى والقوات الألمانية دخلت فرنسا واحتلت باريس، ومع ذلك تحقق السلام بينـهما وقامت بين الدولتين علاقات طيبة ، وكانت هنـاك حرب أهليـة طويلـة فى موزمبيق ومع ذلك تحقق السلام . فأنـا مؤمن أنـه من خلال التفاوض لابد أن يتم السلام . وهذا

رأى ياسر عرفات أيضاً بمعنى أنه لابد من استمرار المفاوضات مرة ومرتين وثلاثة لإيجاد حل.

وعدم وجود اتفاقية سلام وعدم وجود حلول يعنى ذلك أنه ليس هناك حوار مستمر ونحتاج إلى وقت ونحتاج إلى جيل جديد ونحتاج إلى ترابط وعلاقات مع الدول الأخرى لتحقيق سلام.

** *سؤال :*

هناك انتقادات حادة وجهت للأمم المتحدة عندما كنتم أميناً لها وخصوصاً فيما يتعلق بأزمة (البلقان) وتجاوزات جنودها ضد الطرف الآخر فى الصراع وهم المسلمون فى البوسنة؟

* تردد مؤخراً فى وسائل الإعلام أن الجمعية العامة للأمم المتحدة تناقش حالياً مسألة تعديل العضوية فى مجلس الأمن كما تناقش أيضاً استخدام الدول الكبرى

لحق الفيتو – إلى أى مدى يمكن أن يؤثر هذا التعديل على مستقبل العلاقات الدولية ؟

* ماذا يعنى وصف الأمم المتحدة بأنها بيت من زجاج وهل هو هش لهذه الدرجة؟

د. بطرس غالى :

الانتقادات التى وجهت للأمم المتحدة بالنسبة لقضية يوغسلافيا ترجع إلى الخلافات التالية؛ كان هناك اختلاف بين أوروبا وأمريكا ، فأوروبا لها قوات عسكرية على الأراضى اليوغسلافية ، وهناك قوات فرنسية وقوات إنجليزية وقوات مصرية وقوات أردنية وقوات أسبانية وأمريكا ليس لها قوات عسكرية برية ، وأمريكا تريد أن تستعمل السلاح الجوى لضرب يوغسلافيا بينما ترفض الدول الأوروبية استخدام السلاح الجوى لأن لها قوات على الأراضى – وهذا هو الخلاف الأول .

أما الخلاف الثانى فهو يتعلق بموقف روسيا التى تؤيد يوغسلافيا ومرتبطة بها ، لأن يوغسلافيا لها علاقة خاصة مع روسيا وتعارض استعمال القوة سواء البرية أو الجوية. وكانت تلك الخلافات بين أوروبا وأمريكا وروسيا سبباً من أسباب الأزمة التى دارت فى الأمم المتحدة عندما قررت الولايات المتحدة أخيراً أن يكون لها قوات برية فى يوغسلافيا ، إلى حد كبير انتهت هذه الأزمة واستطعنا أن نصل إلى اتفاق.

كان هناك خلاف بين استراتيجية الذين لهم قوات برية ولا يريدون استعمال القوات الجوية والذين ليس لديهم قوات برية وعلى استعداد لاستعمال القوات الجوية . وهناك فريق آخر يرفض استعمال القوة فى يوغسلافيا ، وكان يرى الاكتفاء بالعقوبات الاقتصادية.

الانتقادات ضد الأمم المتحدة موجودة بالنسبة لرواندا حيث حصلت مجزرة وموجودة بالنسبة

لموزمبيق وموجودة بالنسبة للكافة ، لأن الأمم المتحدة مثل أى منظمة قد تنجح وقد لا تنجح . لم تنجح فى الصومال، ففى الصومال منازعات داخلية بين مختلف القبائل وبين جماعات تنتمى إلى نفس القبيلة وتتحدث نفس اللغة وتعتنق نفس الدين ومع ذلك كانت هناك حرب دامت ٢٠ سنة واستمرت فى هذا البلد. لم تكن هناك حكومة أو إدارة أو خدمات ، كانت هناك قبائل تحارب بعضها البعض لذلك فشلت الأمم المتحدة هناك.

وفشلت الأمم المتحدة فى يوغسلافيا حتى تدخلت القوات الأمريكية. ولم تنجح الأمم المتحدة فى "أنجولا". هنا أريد أن أقول أن الأمم المتحدة كالطبيب إذا كان المريض لا يسمع نصيحة الطبيب ولا يتعاطى الدواء فإن مصيره الموت ، هل سنقول أن الطبيب سيئ . كان لابد من إرادات الأطراف المتحاربة. إذا توافرت هذه الإرادة ولجأ المتحاربون إلى وسيلة سلمية لحل هذا النزاع ، تستطيع الأمم المتحدة أن تلعب دور الوسيط،

وأن تقدم المساعدات لتحقيق السلام . ولكن إذا لم تتوافر الإرادة لدى الأطراف المتحاربة فالأمم المتحدة لا تستطيع أن توقف الحرب المستمرة فى "أنجولا".

وفى يوغسلافيا لم تتوافر الإرادة لدى الأطراف المعنية، فلجأت إلى استعمال القوة وكانت تثق أنها تستطيع أن تحقق أهدافها من خلال استعمال القوة . إذن الأمم المتحدة كأى طبيب قد تنجح أو لا تنجح.

أما عن السؤال : هل هناك لجان تعمل من أجل تعديل نظام الأمم المتحدة ؟ هناك لجان أنشئت من أجل هذا الهدف . لكن من الصعب أن نحقق أى تقدم طالما أن هناك خلافاً بين الدول الكبرى فيما يتعلق بعدد الدول التى تتمتع بحق الفيتو . وفيما يتعلق بتحقيق التوازن بين الدول التى تنتمى إلى الشمال والدول التى تنتمى إلى الجنوب.

هناك خلافات بين الدول وهناك أيضاً اتفاق بين الدول على أهمية تعديل نظام الأمم المتحدة ، ولكن كيف يتم هذا التعديل وهناك خلافات !!

وأخيراً لماذا وصفت الأمم المتحدة بأنها بيت من زجاج؟

لأنها فعلاً من حيث الشكل تتكون من زجاج ، ولكن من الناحية الرمزية هناك ١٨٠ سفيراً معتمدين لدى الأمم المتحدة ، مهمتهم أن يعرفوا ماذا يدور فى أروقتها ، فإذا حدث شئ فإن هذا الشئ يصل إلى العديد من الدول فى أقل وقت ممكن . وبفرض أن وَقَعت على أى ورقة فإن هذا التوقيع يصل أيضاً إلى العديد من الدول فى أقل وقت ممكن ، ومن الممكن إلى أجهزة المخابرات للعديد من الدول . إذن البيت من زجاج بما أن هناك ١٨٠ مندوباً مهمتهم متابعة ما يدور فى الأمم المتحدة ، وهذا مما يؤخر العمل فى الأمم المتحدة ،

لأن العمل الدبلوماسى يتطلب فى كثير من الأحيان نوعاً من السرية حتى يمكن أن ينجح .

I.S.B.N
رقم الإيداع -١١٠٣١ -٢٠٠٢
الترقيم الدولى -0-369-236-477

****

دار النشر والتوزيع بجامعة أسيوط
عضو اتحاد الناشرين المصريين

****